

الرياض

جريدة يومية تصدر عن مؤسسة الجيامة الصحفية

الأحد 19 رمضان 1431 هـ - 29 أغسطس 2010 م - العدد 15406



• انت الآن تتصفح عدد نشر قبل 1897 أيام , في الأحد 19 رمضان 1431 هـ

الأحد 19 رمضان 1431 هـ - 29 أغسطس 2010 م - العدد 15406

التأويل في «مرايا التأويل»

صالح السهيمي*

أصدر مؤخرًا الناقد السعودي الدكتور معجب العدوان كتابًا نقديًا بعنوان "مرايا التأويل" قراءات في التراث السردى. نادي الرياض الأدبي والمركز الثقافي العربي . 2010 م.

تناول الناقد في كتابه بعض الأشكال السردية القديمة في تراثنا العربي مقدما قراءاته التأويلية الكاشفة عن رؤى جديدة في أجزاء كبيرة منها، ومقاطعة مع رؤى أخرى سائدة لدى الكتاب العرب المعاصرين، لاسيما من حيث التأكيد على كنوزية الجانب الحكائي في تراثنا العربي والإنساني، والدكتور العدوانى عبر هذه الدراسة الشائقة والشائكة بوغل القارئ إلى مناطق جديدة ومتقدمة لتأويل الحكاية، ولعل التأويل وما يحمله من حرية الانفتاح؛ كقيل بتفتيت مركزية الحكى، وكقيل بالتعدد في التأويل لهذه المركزية التي تستمد حضورها من الجانب الإثرائى للحكاية وما تكتنزه من حضور عبر الأزمنة، فالتأويل الذي يهتم به الناقد يُعنى بجانب التفكير لخطاب السردى في الحكاية، التفكير القائم على تفتيت السلطة الحكائية؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعيد إنتاج البنية الحكائية وما تحمله من خطاب أدبي وثقافي على مستوى التلقي والقراءة.

وحين تتمركز فلسفة (المعنى) عند هسلر حول مفهومه القائل: "بأن الوعي هو الوعي بشيء ما"، وعندما تتمحور فلسفة (الفهم) لدى غادامير بأن "الفهم هو فهم شيء ما"، فإن فلسفة التأويل عند الناقد تقوم على الوعي بالفهم والمعنى على حدٍ سواء، وعلى الدلالة التأسيسية للتعدد في القراءة، ولعل التحليل والتأويل الذي قام به الدكتور العدوانى من خلال قراءاته للحكايات كقيل بالكشف عن حضور المعنى والفهم في تأويلاته الكاشفة عن تجدد الحكاية واستمرارية الحكى عبر الزمن، ومن ثم الاتكاء على فحص الجانب الدلالي الذي يشي بحضور الفهم في دوائر المعاني الناتجة عن الخطاب الحكائي.

لذا كان لزاما على الناقد أن يؤسس لرؤيته النظرية من خلال التأويل والاشتغال الدلالي على مجموعة من الحكايات العربية القديمة، وهنا يمكنني أن أسجل أهمية التطبيق لاسيما في الجانب التأويلي للنص الأدبي، لأن التأويل من أكثر القضايا الأدبية والثقافية التي ينبغي أن تدرس؛ لم تحمله من خطورة على مستوى وظيفة التلقي.

وحين ينطلق الباحث في قراءاته التطبيقية للحكاية التراثية عبر منهج تأويلي يدرس من خلاله هذا الحضور في: حكاية الأمثال العربية، وحكاية الشعراء لاسيما الاجتماعى منها، والحكاية الشعبية بوصف حضورها السلطوي في التلقي، إذ تعدّ هذه القراءات المنتقاة لبعض الحكايات العربية القديمة اختيارات لها دلالتها التجديدية من جهة، ولها حضورها في وعي الإنسان العربي منذ أقدم العصور حتى وقتنا المعاصر.

ففي حكاية الأمثال العربية يتوقف عند بعض الأمثال العربية: سبق السيف العذل، وجزاء سنمار، ليقارب المحتوى الدلالي والتأويل المكتنز لحكايات الأمثال، ومن ثم عطف بحضور السّم في التراث العربى والعالمي. أما حكايات الشعراء فنراه يتمثل أمام حكايات الشعراء بدءًا بحكايات الشاعر المجنون (مجنون ليلى) متتبعا الخطاب السردى للمجنون ومن خلال علاقة العشق بالمجنون من جهة، وتأثير الجانب السردى في إكذاب الخطاب الحامل للحكاية من جهة أخرى. وحكاية الشاعر الشنفرى مع الأطلال والحضور الأثوئى لاسيما الأم التي حاول الشنفرى أن يعطي من حضورها، وحكايات سحيم عبد بنى الصبحاس متتبعا الناقد من خلالها دلالاتي اللكنة واللون وأثرهما في الدوائر الحكائية التي صيغت في مواضع شتى.

وختم الناقد بالحكاية الشعبية وما لها من أبعاد عجابية للكشف عن بعض الأسئلة التي تطرحها هذه الحكاية الشعبية، والتأويل هنا يقوم على الكشف "عن ذلك المخبوء والمعنى البعيد عن التناول، عبر محاولة البحث عن عمق تلك المكونات" الكتاب: ص(109). وحقيقة هذه المكونات تتعدد بحسب القانون الشفاهي المحيط بالحكاية الشعبية؛ لذا تكمن خطورة التعدد القراني للحكاية الشعبية في جانب التعبير الشفاهي المتعدد للمجتمع، إلا أنها حينما تكون مقيدة بالكتابة فإن الأمر يسهل، ورغم هذا الفرق؛ تظل الحكاية الشعبية أكثر إشكالية من حيث الانتاج الدلالي/التأويلي، والتعدد القراني وآليات التلقي.

ولعل الإشكالات في القراءات التأويلية للحكايات التراثية التي واجهت الناقد كانت ماثلة وحاضرة في ذهنه لاسيما ما تجده في أزمنة السياق، والتداخل الإجناسي في النصوص الأدبية، والتجريب الذي يقوم على تأويل النص النثري القديم.

وأخيرًا تبقى أن أشير إلى أهمية الكتاب من حيث تناوله للجانب التأويلي في الحكايات التراثية المحاطة بهالة من الأسئلة الشائكة، الأسئلة التي تثير في المتلقي الكثير من أوجه الاتفاق والاختلاف على حدٍ سواء.

*(قاص وباحث)

رابط الخبر : 555658

هذا الخبر من موقع جريدة الرياض اليومية www.alriyadh.com